

٦م / تطور الأنواع البشريّة في الزمن الرابع (البلايستوسين)

يمتاز العصر الرابع من زمن الحياة الحديثة بتطور الأنواع البشريّة وظهور الإنسان الذي ننتمى إليه والذي يطلق عليه اسم الإنسان العاقل. وهذا هو السبب الذي من أجله يفردّه الجيولوجيون بعناية خاصة ويطلقون عليه اسم الزمن الرابع أو الرابعي كما يسمون العصر السابق له (البلايستوسين) اسم الزمن الثلاثي.

في هذا العصر تطورت الإنسانية وسارت في مدارج حضارتها الأولى ، وانبثق فيها الفكر الإنساني الأول بانبثاق الإنسانية نفسها ، وتفرد الإنسان بصفاته الجسمانية والعقلية الخاصة في مكان خاص من شجرة الأحياء .

وتتميز عن غيره من الثدييات وجعلته صانعا وفنانا ، خالقا لحضارات ظل يستخدم فيها الحجارة وآلات الصوان أمداً طويلاً ، ومن ثم كانت تسميتها بحضارات العصر الحجري ، سبقت عهده بالكتابة والتدوين ، ومن ثم أيضاً كانت تسميتها بعصر ما قبل التاريخ .

ومن ابرز سلالات (الإنسان العاقل) في العصر الحجري القديم هي:

١ - سلالة كرومانيون: Cromagnous

من أشهر السلالات التي كُشف عنها النقباب في منطقة دوردوجن Dordogn في جنوب فرنسا، وإنسان هذه السلالة هو صاحب الحضارة الأوريناسية Aurignacia التي تتميز بصناعة أقدم الآت الشظايا وأوسعها انتشاراً من النصال الأزاميل والمخارز، وتتمثل مخلفات هذه السلالة في هيكل عظمي يبدو منه أنه كان إنسان طويل القامة، دقيق البنية وأن كانت ذات تقاطيع دقيقة، ولها مخ كبير، وقد عطيت لهذا الشكل أهمية كبيرة حتى نسب إليه كل هيكل بشري كُشف في هذا العصر في أي جهة من العالم. ويبدو أنه قد بولغ كثيراً في تقدير هذه الأهمية، ثم تكن سلالة ممتازة في عصر بل يمكن اعتبارها إحدى شعب السلالة التي كانت في غرب أوروبا منذ حوالي ٤٠ ألف سنة مضت.

٢ - سلالة شانسليد Chancelade

وفي ظل مناخ بارد نسبياً في أوروبا عاشت سلالة شانسليد إذ وجد هيكل شري في شانسليد في فرنسا.

وتنسب إلى هذا الإنسان الحضارة السولتريية Solutrean التي تمتاز بأدوات حجرية تشبه في شكلها ورق الصنصاف، وقد كانت هذه الحضارة قصيرة العمر دمة من آسيا وما لبثت أن حلت محلها الحضارة المجدلية Magdalenian، وهذه ستمرت فترة طويلة من الزمن وانتهت من عشرة آلاف سنة تقريباً. ولعل من

الطرافة في هياكل هذه السلالة أنها تشبه إلى حد كبير سلالة الإسكيمو الحالية فهي تشبه جمجمة الإسكيمو في ارتفاع حاجبي الجمجمة واستدارتها وصيق الأنف وعرض عظمتي الخدين وشكل الفك الأسفل، غير أن الأنف كانت له قنطرة عالية تختلف عن أنف الإسكيمو وتشبه أنف الأوربي، ويعلل الشبه بالإسكيمو بأن الإسكيمو كانوا يسكنون في غرب أوروبا فعلاً وأنه في فترة تقهقر الجليد وهجرة حيوان الرنة إلى الشمال تبعها هؤلاء الذين أطلق عليهم فيما بعد اسم «الإسكيمو» والذين وجدوا أنفسهم في هذه البيئة التي سكنونها الآن «شمال أمريكا الشمالية».

٣ - سلالة كوم كابل Combe - Capell :

وفي غرب أوروبا أيضاً كانت تعيش سلالة أخرى تعرف باسم كوم كابل، إلا أن إنسان هذه السلالة كان أقصر من سلالة كرومانيون وأضيق رأساً ووجهها وأكثر بروزاً في عظام الحاجبين وكان يعيش جنباً إلى جنب مع سلالة كرومانيون في غرب أوروبا إلا أنه كان له حضارته الخاصة كما كان أقدم ظهوراً.

٤- سلالة جريمالدى Grimaldi : عن البحر المتوسط
دولة موناكو

وجدت بالقرب من مونت كارلو وقد دلت صفاتها الجنسية أنها تشبه سلالة الزوج وهذا التشابه يبدو واضحا فى تقاطيع الوجه وشكل الجمجمة ولاسيما نتوء وبروز الفم.

ولم تقتصر بقايا سلالات العصر الحجري القديم الأعلى على أوروبا فقد عثر على بقايا مخلفات لسلالات أخرى فى جاوة وتسمى بسلالة واجاك Wadjak ويتميز أفرادها بكثافة غطاء الحاجبين وتراجع الجبهة وبروز الفم وعدم توسع الذقن، كما عثر فى جنوب أفريقيا على مخلفات سلالة بسكوب Boskop .
وقد حاول بعض الأنثربولوجيين الربط بين بدء ظهور السلالات البشرية الكبرى منذ العصر الحجري القديم الأعلى فربطوا جمجمة كرومانيون بأقدم

السلالات الأوروبية وحاولوا أن يجدوا فى جمجمة جريمالدى ما يدل على ظهور صفات زنجية، وهيكل شاسليد بالسلالة المغولية وسلالة واجاك بالأستراليين الأصليين، وجنس بسكوب بصفات البوشمن، ومع ذلك فيظل الفارق بين هذه السلالات والسلالات الحالية فى ضخامة الجمجمة وكبر حجم المنخ.